

عراقيو اليوم فلسطينيو الغد - أسئلة مصيرية

صائب خليل

22 تشرين الأول 2015

يسجل الشعب الفلسطيني ملحمة أخرى وقد هزت بطولاته الشوارع الإسرائيلي (1) وواجه جنود إسرائيل السخرية والتهكم في أوساط الإسرائيليين أنفسهم، الذين ذكروا أن "جنود جيشهم لا يصلحون للقتال، ولا يحسنون غير الجري والركض والهروب"، الذين لم يجدوا إلا أن يشتبهوا في مواطن إسرائيلي من أصل أرثري، فأوجعه ضرباً وركلاً، قبل أن يأتي شرطي ويطلق النار عليه، ثم قاموا بكل جثته ونكلوا بها وداسوها بأقدامهم، ولكن خيبتهم كانت كبيرة عندما علموا أن هذا القتل "المسكين" لم يكن إلا مهاجراً يهودياً، كان من حظه العاثر أن ملامحه قريبة من ملامح العرب! ومن النتائج المباركة لهذه الانتفاضة أن أصبح لأول مرة "قراية ثلثي الإسرائيليين يؤيدون الانسحاب من الأحياء العربية في مدينة القدس، ويوافقون على قيام دولة فلسطينية".

لكننا في وقفنا المبدئية والعاطفية مع أبطال فلسطين نواجه باستمرار حقائق العلاقة المتناقضة بين العراقيين والفلسطينيين والمتمثلة بتعاطف فلسطيني مع قتلة الشعب العراقي، وردة فعل عراقية مماثلة وإن كانت محدودة. وقد حاولت في مقالتي "الوجه الآخر للموقف الفلسطيني.. بحاجة لتوضيح بلا تأخير" (2)، استثارة الجانب الفلسطيني لإثارة إشكال العلاقة غير المرضية بين الفلسطينيين من جهة والعراقيين والسوريين من الجهة الأخرى.

كتبت: "نعاني، نحن المدافعون عن القضية الفلسطينية في العراق، والتي تتفق مع مبادئنا الإنسانية تماماً ولا نستطيع أن نتخلى عنها دون أن نتخلى عن مبادئنا نفسها، نعاني من معضلة الموقف الفلسطيني الشعبي من قضايا الشعبين العراقي والسوري". مشيراً إلى الموقف الفلسطيني بتأييد صدام حسين وعزت الدوري... وحتى "داعش" التي تعيث في العراق فساداً وجرائم لا يستطيع أن يقف معها إلا إنسان فقد عقله وضميره تماماً. وينطبق ذات الأمر على الجانب السوري، حيث يتضح مستوى التناقضات بشكل أشد، وأصعب تفسيراً، خاصة وأن داعش وجهات المعارضة السورية ذات علاقات وطيدة بإسرائيل، وأنها في الحقيقة، فرقة كوماندوز إسرائيلية، لا تكاد تخفي حقيقتها.

إننا مؤمنون أن العرب يواجهون حقاً مؤامرة إسرائيلية مرعبة، والعراقيون يتحسسون علاماتها وهي تمرر من تحت البساط. فحين نرى مسلسلات متتالية تخص العراقيين اليهود دون غيرهم، وحين تدبج فجأة المقالات عن وزير المالية العراقية السابق، اليهودي ساسون، ويكال له المديح بأمانته وعلمه وكأن لم يكن في تاريخ العراق شخص أمين، دع عنك من ضحى بحياته من أجل العراق، وحين يطرح التساؤل عن أفضل الفاسد المسلم فلان أم اليهودي ساسون، وحين تكون ممثلة الاتحاد الأوروبي في العراق، رئيسة سابقة لجمعية صداقة إسرائيلية أوروبية، وحين لا تكاد تشاهد في قناة فضائية عراقية أثراً لأخبار جرائم إسرائيل مثلما تشاهدها في أي مكان آخر في العالم وووو وأشياء أخرى كثيرة.. فمن الحمق ألا نلاحظ أذرع الأخطبوط الإسرائيلي حول العراق. أما في سوريا فالأمر مباشر تماماً.... وأما في فلسطين فلا يحتاج الأمر إلى كلام.

واستجابة للدعوة لتحليل وإصلاح الخلل، أرسلت لي الصديقة "هناء الجابري" مجموعة مقالات تبين الوجه الآخر للموقف الفلسطيني. فتحت عنوان "ليس كل الفلسطينيين «داعش»..» (4) تحدث عبد الرحمن

نصار عن ثورة "محبى فلسطين، وباغضيتها على حد سواء، حينما يسمعون عن مقتل فلسطيني مع تنظيم «داعش» أو «جبهة النصرة» في العراق أو سوريا" مشيراً إلى أن أغلبية داعش هم "من جنسيات المتحدثين أنفسهم"، مستدركاً "أن هذا لا يبرر عملية التحريض المذهبية الجارية في عدد من التنظيمات الفلسطينية". ومنها بأنه "لو أن لـ «داعش» مشروعا لقتال إسرائيل، ما «هرب» أحد من غزة ليلتحق بهذا التنظيم!" ملقياً باللوم على "من ينعى من الفلسطينيين، المقتول على أنه «شهيد» ترك «أرض الرباط» ليجاهد «الجهاد الأكبر» ضد «أنظمة طاغية ومستبدة»

ويرى أن اقتراب بعض الفلسطينيين من «داعش» كان "بسبب اختراق التوجهات السلفية لمجتمعهم، وهو داء أصاب المجتمعات العربية بلا استثناء" ومنذ 11 أيلول وتعاطف الفلسطينيين مع تنظيم «القاعدة»، والذي نما خلال الاحتلال الأمريكي للعراق، ثم فشل الربيع العربي، وغياب الأفق لحل قضيته، مما ثبت في ذهنه "أن فلسطين لن تحرر إلا إذا سقط «الطاغيت» وقامت الخلافة.

وينبه نصار إلى استباحة داعش لدم اللاجئين في مخيم اليرموك (سوريا) بعد تكفيرهم، لنشهد قيام بعض الغزيين ممن التحقوا بـ «داعش» بتسجيل تهديد مصور لشعبهم في غزة، يتوعدونه فيه بـ«بحور من الدم»!

وكتب صديقي فاتح الخطيب رداً على مقالتي، حاول فيه تفسير الموقف الفلسطيني والعربي تجاه العراق وصدام حسين بشكل خاص: "لا زلت اذكر تلك الليلة التي ركضنا بها انا واصدقائي حفاة الى أسطح المنازل لكي نراقب الصواريخ في سماء الاردن، والتي أمطر بها صدام حسين الكيان الاسرائيلي، وكنا كلما شاهدنا وميض صاروخ تطير قلوبنا من الفرح لتأخذ تلك الصواريخ معها كل الظلم والكره والغضبة لتدك مدن ذلك الكيان الغاصب. وكان ذلك سنة 1991، حيث هي المرة الاولى التي يتجرأ زعيم عربي منذ حرب تشرين بالتغريد خارج النص. وقتها شعرنا كفلسطينيين بان الطريق للعودة الى فلسطين أصبح قصيرا..... لكن الصواريخ توقفت ولم نعد لفلسطين."

ثم تحدث عن أساليب صدام حسين ودفع مبلغ 25 ألف لكل فلسطيني تقوم إسرائيل بهدم داره، وهو ما يجعل من الصعب رؤية الحقيقة المقابلة. وقال بأنه بقي يجهل الظلم الذي كان صدام حسين يسلطه على الشعب العراقي حتى تحدثنا بالأمر وأخبرته بأن صدام حسين بالنسبة للعراقيين كشارون بالنسبة للفلسطينيين... "فلم يبق اي أثر لتلك البطولة لصدام حسين في عقلي وفي قلبي"

ثم تحدث عن حرب العراق – إيران وكيف صور الإعلام العربي صدام كحام للعرب من "الفرس المجوس"، وألقى بالكثير من اللوم على المثقفين العراقيين الذين لم يتصدوا بشكل كاف لهذا الأمر ولم يشرحوا للعرب حقيقة ما يجري في بلادهم... "وبالتالي فان جيلا كاملا قد ولد وتخرج من الجامعة في كل الوطن العربي ضمن هذه المعطيات". ليكمل محادنا المثقفين العراقيين: "وبالنسبة لي كفلسطيني لا أحمل في قلبي وعقلي الا الحب للشعب العراقي وعدائي المطلق لصدام حسين، وقد لا يقل كرهه عن كرهكم له.... وهنا امد يدي لكم طالبا منكم جميعا العون حتى نجد الطريقة المثلى والسريعة لردم الهوة بيننا كشعبين عراقي وفلسطيني، فان حجم المؤامرة أكبر بكثير من ان يتصدى كل منا لها لوحده، بل نحتاج لتكاتف الهمم حتى نتجاوز هذه المرحلة الصعبة. ولن اقول (يا وحدنا) كما قال درويش، بل اقول يا كلنا، لأننا إذا خسرتنا سوف تهزمون وان خسرتم فسوف نهزم وان صمدنا فسوف تنتصرون، وان صمدتم فسوف تنتصر، فالنصر لنا ولكم.

كذلك جاء في بعض التعليقات على المقالات المنشورة حول الموضوع، إضاءات مهمة، فحين أشار حيدر الهلالي إلى أن "ليس الموقف من صدام فقط بل هناك مئات الانتحاريين الفلسطينيين الذي فجرنا شوارع العراق"، رد فاتح الخطيب بأن "كل الانتحاريين الفلسطينيين والعراقيين على حد سواء والذين يفجرون أنفسهم في العراق ضالون او مضللون". وقد أردف رأيه هذا بدعوه في قصة قصيرة سنشير إليها في نهاية المقالة.

وأشار البعض إلى أن نسبة الفلسطينيين بين الإنتحاريين في العراق هي الأعلى، فرد عليه آخر بمقالة للأخ علاء اللامي⁽⁵⁾ كتب فيها أن "أصدقاء إسرائيل من حملة الجنسية العراقية لا يحتاجون لحجة أو "سبوبة" كي يكرروا الدعوة للاعتراف بدولة العدو "إسرائيل" وعقد معاهدة صداقة معها كما بشر بذلك رائدهم مثال الألوسي ، ولكنهم يكررون على سبيل التلعة حجة وجود انتحاريين فجروا أنفسهم في العراق من الفلسطينيين" "لهؤلاء جميعا نكرر ما قالته إحصائيات غربية المصدر، واعترافات مجرمين ... أكدت أن الانتحاريين والمقاتلين في صفوف داعش من حملة الجنسية التونسية يأتون في المرتبة الأولى يليهم السعوديون وفي إحصائيات أخرى يأتي السعوديون في المرتبة الأولى يليهم التونسيون ، فالجزائريون فالمغاربة .. إلخ. ويأتي الفلسطينيون في نهاية القائمة" وقد عددا من روابط تلك الإحصاءات والاعترافات:

http://www.jomhouria.com/art35757_%25

<http://www.alhayat.com/Articles/9694352/>

<http://www.islamist-movements.com/26355>

<https://arabic.rt.com/news/773483->



وأجاب البروفسور مصدق الحبيب بأن "ارتفاع العدد في تونس والسعودية لا يبرر مطلقا قبول العدد مهما كان من فلسطين"

وكتب منير التميمي أن ما يثير اهتمامه ليس موقف "مرتزقة البارزاني و متلقي عطايا وزارة الخارجية الاميركية من زعاطيط ال NGO و جماعة مثال يعالون الألوسي و بقية بباغات الليبرالية العراقية المائعة" وإنما التناقض عند "العراقي الذي يعيش انفصاما بين حبه لنصر الله الملتزم انسانيًا و اخلاقيًا و وطنيًا و قوميًا و دينيًا و مذهبيًا بفلسطين و قضيتها" ... و "نفس العراقي الذي يرفع شعار معاداة الفلسطينيين"، و "العراقي الذي يهتف بحياة الخامنئي أو يقلده ... هو نفسه الذي يخالف ... التوجه الخامنئي خصوصا في ما يتعلق بفلسطين"

وتساءل حسن نجم "اليوم انا عندي كم من الأصدقاء الفلسطينيين في المهجر وكلهم رأوا صورة وصوت جرائم صدام ولكنهم يرددون كما يردد خطباء منابرهم ويمدحون صدام ويعتبرونه رمزاً"، مستنكراً أن يكون الـ 25 ألف، مبرراً لقبول الظلم.

ورد أحمد كوثر في مناقشته فاتح الخطيب قائلاً: "أخي العزيز مع جل احترامي وتقديري لك لكن كيف لنا.. انا وانت أن نرضي أم الشهيد وزوجة الشهيد أبناء شهداء العراق الذين استشهدوا ليس بنيران الإسرائيليين بل بمفخخات الانتحاريين الفلسطينيين المدعومين من المخابرات الخلية... بعد كل التضحيات العراقية من دماء وأموال في الوقت الذي كنا نتصور جوعاً في فترة الحصار. أهكذا يجازي الأخ أخيه."

وكتب صديقي شيروان محمد أن "محاولات رأب الصدع بين اي شعبيين على وجه الارض امر محمود من منطلقات انسانية قبل اي اعتبار آخر فما بالك بين شعبيين تجمعهما اواصر الدين والتاريخ واللغة المشتركة. لكن ارى في مقال السيد فاتح الخطيب تجنيا فاضحا بحق مثقفي العراق، لقد دفع العشرات منهم حياتهم والمئات منهم قبعوا سنوات طوال في سجون الطاغية وتشرذ الآلاف منهم في بقاع الارض فهل يعقل ان يكون الاخ صائب خليل المثقف المعارض الوحيد الذي كان يمكن ان يلتقي به لو أراد؟".

نعم نوافق شيروان ان المثقف عموماً يتحمل قسطه الكبير من جهل من يحيط به، ولا يشذ عن ذلك المثقف الفلسطيني أو العربي.

وأخيراً، كتب فاتح الخطيب قصته المعنونة "دمى آدمية"⁽⁶⁾ يكشف فيها الطرق التي يتم بها تجنيد البسطاء من الفلسطينيين والعرب في الدول التي تتواجد فيها بصمة وتأثير إسرائيلي، وهي قصة تستند إلى وقائع حقيقية كان صديقي فاتح الخطيب دور البطولة فيها كما أخبرني قبل فترة طويلة محذراً أيما مما يحدث، وهي جديرة بالقراءة والنشر على أوسع مجال لتحذير ضحايا الابتزاز من البسطاء مما يخطط لتحويلهم إلى انتحاريين، يفجرون انفسهم وضحاياهم، ويفجرون كذلك العلاقات داخل الشعب العربي، فتضرب إسرائيل بهم سرباً من العصافير بحجر واحد!

في الختام، سألني أحد المعلمين وقد رأى إلحاحي: شبيك كاتل روحك؟ أنت فلسطيني؟ وهنا مر أمام عيني مشهد الإسرائيلية التي تستقبل قوارب اللاجئين السوريين والعراقيين عند شواطئ اليونان وهي تضع على صدرها شارة (IsraAID)⁽⁷⁾ فتذكرت افلام تشريد الفلسطينيين قبل سبعين عاماً، وأجبتة: ستعلم أننا "فلسطينيو" المرحلة القادمة، لكن ربما بعد فوات الأوان، فالمرحلة القادمة قد بدأت بالفعل!

وتذكرت خاتمة مقالة صديقي فاتح الخطيب حين قال: "إذا خسرنا سوف تهزومون وان خسرتم فسوف نهزم. وان صمدنا فسوف تنتصرون، وان صمدتم فسوف نتنصر".

(1) أقوالاً وتعليقات من الشارع الإسرائيلي بقلم د. مصطفى... -

https://www.facebook.com/permalink.php?story_fbid=1547241945550941&id=100007954500250

(2) - صائب خليل - الوجه الآخر للموقف الفلسطيني.. بحاجة لتوضيح بلا تأخير

<https://www.facebook.com/saiekhhalil/videos/vb.320945874629155/963224333734636/>

(3) بنت الموصل الحدياء الأخت سوزان الياسين

<https://www.facebook.com/IraqMyHouse/posts/1047564285276442>

(4) ليس كل الفلسطينيين «داعش»

<http://www.al-akhbar.com/node/244112>

(5) علاء اللامي: أصدقاء إسرائيل من العراقيين والحقد الغبي على الفلسطينيين

<https://www.facebook.com/photo.php?fbid=1547386535536482&set=a.1386327858309018.1073741828.100007954500250&type=3>

(6) فاتح الخطيب: دمى آدمية

<https://www.facebook.com/fateh.alkhateeb/posts/10206913669494679?fref=fb&pnref=story>

(7) عضوۃ في منظمة (اسرأيد) تستقبل اللاجئين السوريين الى احدى جزر اليونان - Munir Al-Tamimi
<https://www.facebook.com/100007954500250/videos/vb.100007954500250/1547643492177453>